HexaTimes
Delaware, United States
HexaJournal
of Educational Sciences
هكسا جورنال
العلوم التربوية

سؤال الاستغراب من الماهية إلى الأبعاد الاستشرافية: مقاربة ابستمولوجية من خلال الأدبيات العربية المعاصرة

أ.د/ آسيا شكيرب
أستاذ التعليم العالي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ الجزائر

الملخص

الاستغراب هو المقابل المعرفي للاستشراق؛ فالمصطلحان يحملان هوية جغرافية، بالإضافة إلى هوية معرفية وموضوعاتية، تتجلى فيهما علاقة الأنا بالآخر في مستويات عديدة. انطلق البحث من إشكاليتين أساسيين الأولى متعلقة بماهية علم الاستغراب، موضوعاته، أسسه، قواعده، مناهجه وآلياته وفق الأدبيات العربية المعاصرة؛ والثانية تتعلق برسم آفاق مستقبلية لهذا العلم تركز على إمكانية التعايش والتحاور مع الآخر. توصلنا إلى ضرورة نحت مصلح مناسب للتوصيف المعاصر لهذا العلم، مع ضرورة تحديد الأهداف من عملية المثاقفة، والمواضيع التي تتواءم ومعطياتنا المعرفية؛ مع ضرورة تخليص المصطلح من النعوتات التاريخية؛ وأوصينا بضرورة إيجاد مؤسسات علمية وأكاديمية تعنى بالقيام بمشاريع نهضوية توقظ العقل العربي وتدفعه نحو الفاعلية والإنتاج العلمي والحضاري.

الكلمات المفتاحية: الاستغراب – الاستشراق – علم الغرب – حضارة - تراث

Abstract

The two terms carry a geographic identity not to add to a epistemological and objective identity, in which the relationship of the ego with the other is manifested on many levels. The research started from two basic problems, the first related to the essence of the science of Occidentalism, its topics, its foundations, rules, methodology and mechanisms according to contemporary Arabic literature, and the second related to setting up future horizons for this science that focuses on the possibility of dealing and coexistence with the other.We reached the need to carve a suitable term for the contemporary description of this science with the need to determine the objectives of the process of acculturation and topics that are compatible with our cognitive data with the need to rid the term of the historical epithets. We also recommended the need to find scientific and academic institutions concerned with carrying out renaissance projects that awaken the Arab mind and push it towards effectiveness and civilized scientific production.

Keywords: westernization - orientalism - science of the West - civilization - heritage

مقدمة

الاستغراب هو المقابل المعرفي للاستشراق؛ فالمصطلحان يحملان هوية جغرافية، بالإضافة إلى هوية معرفية وهوية موضوعية، تتجلى فيهما علاقة الأنا بالآخر في مستويات عديدة، سواء منها العقدية أوالثقافية أوالفكرية أوالسياسية. لقد حاول المفكرون العرب والمسلمون نقل المعرفة الغربية من مستوى التلقي إلى مستوى أكثر عمقا، تجعل الشرقي فاعلا في الابستيمولوجيا الغربية وفق عملية المثاقفة، يخضعها

للدراسة والتشريح، تماما كما خضعت علوم العرب ومعارفهم لمشرط الباحثين الغربيين، على امتداد قرون من الزمن، وهذا بمحاولة بناء أسس علم الاستغراب.

ينطلق بحثنا من إشكاليتين أساسيين الأولى متعلقة بالماهية، فما هو علم الاستغراب وما هي موضوعاته وأسسه وقواعده؟ وما هي مناهجه وآلياته وفق الأدبيات العربية المعاصرة؟ والثانية تتعلق برسم آفاق مستقبلية لعلم الاستغراب، فهل يمكن أن يسهم هذا العلم في رصد سبل التعايش والتحاور مع الآخر؟ كيف ذلك؟ لحل هذه الإشكاليات العلمية، استعملنا المنهج التحليلي الذي يعمد إلى تفكيك الأفكار وإعادة بنائها وفق منطق يضمن فهم أبعادها المختلفة، كما استعملنا المنهج الاستقرائي لجمع جزئيات الموضوع للوصول إلى نتائج علمية منطقية.

لقد اعتمدنا في دراستنا على أهم الأدبيات العربية التي اعتنت بموضوع الاستغراب، ويمكننا القول أن إن الأدبيات العربية تكاد تكون محدودة جدا؛ وقد حاولنا استقراء محتواها بكل موضوعية لتقديم عمل بنسقية علمية منهجية؛ ويمكننا القول أن كتاب" مقدمة في علم الاستغراب" لحسن حنفي فهو الذي رسم الخطوط الرئيسية التأسيسية لعلم الاستغراب، كما أنه المحور الذي تتحرك في فلكه جل المؤلفات والمقالات؛ وأما كتاب " سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الاسلامي " لعادل بن بوزيد عيساوي، فقد حاول تقديم رؤية مختلفة تتمثل في مشروع للاستغراب انطلاقا من النظام المعرفي الإسلامي، وأهم مشروع عربي حول الاستغراب، قطع شوطا لا بأس به حول الاستغراب خاصة في مستوى ممارسة قراءة ونقد الآخر، قدمه المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. والذي أصدر مجلة بعنوان " الاستغراب" وهي دورية فكرية تعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيا ونقديا؛ صدر أول عدد خريف 2004، وقد أصدرت6 أعداد إلى يومنا هذا؛ وقد تناول الباحثون في العدد الأول مباحث مختلفة حول علم الاستغراب، لكنها لم تخرج من فلك رؤية حسن حنفي؛ أما أحمد سمايلوفيتش فقد سبق حسن حنفي في تعريف الاستغراب في كتابه "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، بما يقارب عقدين من الزمان، وتناوله في الأدبيات السابقة له باقتضاب؛ أما أحمد الشيخ فقد قدّم في كتابه" من نقد الاستشراق إلى الاستغراب، حوار الاستشراق" نقدا وفق أطر فكرية خاصة، كما قام بتبيين المشترك الموضوعي والثقافي بين الشرق والغرب، وأهم الجوامع في إطار إيجاد صيغة للتقارب والتعايش بين الشرق والغرب. استعننا في بحثا بالأدبيات السابقة، بالإضافة إلى العديد من المصادر والمراجع بغرض إثراء البحث، وقد اعتمدنا على منهجية MLA، وقسمنا بحثنا إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: ماهية علم الاستغراب

أولا: الماهية الايتيمولوجية[1] لعلم الاستغراب.

إن سؤال ماهية الاستغراب يحيلنا بداهة لاكتناه جوانب عديدة من ماهيته، سواء كانت لغوية أم جغرافية فكرية أم معرفية، لنحاول من خلال استقرائها جميعا رسم حدود معرفية تسهل علينا تحديد المفهوم بطريقة أعمق.

1- المعنى الاشتقاقي: اشتقت كلمة الاستغراب Occidentalisme من كلمة "الغرب"؛ والغرب Occident لغة هو جهة غروب الشمس[2]، كما يطلق على أماكن الأرض الواقعة جهة غروب الشمس[3]، أما المعنى التاريخي للمصطلح فيعني أوروبا الغربية، أو الكنيسة الغربية أو الكنيسة الرومانية؛ في مقابل الكنسية اليونانية أو كنائس الشرق[4]. كما يعني المصطلح إمبراطورية الغرب التي أطلقت على روما، في مقابل الإمبراطورية الشرقية التي أطلقت على إمبراطورية الشرق؛ إمبراطورية قسطنطينConstantinople، وقد سمي

---

[1] إيتيمولوجيي Etymology – Etymologie: تتكون من مقطعين، يونانيين الأول Etymos وتعني الحقيقة،والثاني logos وله عدّة معاني، وقد استخدم هنا بمعنى الكلمة، وهو منهج علمي يقوم على تتبع أصل الكلمات وتاريخها.

Dictionnaire Russe–Françaisd'étymologie comparée: correspondances lexicales historiques, (Editions Sakhno : (Sergueï L'Harmattan, 2001), p 5)

[2] Amédée Baujean : **Dictionnaire de la langue française abrégé du dictionnaire de É**. Littré, 3eme tirage, (Paris : librairie Hachette et G, 1876), P 768.

[3] **Dictionnaire Universel Francois Et Latin**,(Paris : Delaune, 1743), Tome4, P1325.

[4] Amédée Baujean : **Dictionnaire de la langue française abrégé du dictionnaire de É**. **Littré**, P 768.

الإسبان والإيطاليون والفرنسيون بالشعوب الغربية، مقارنة بالآسيويين؛ أما أمريكا وكل العالم الجديد فهو غربي [5]، أما الغربي Occidental فيقصد به الشعب الذي يقطن الجهة الغربية[6].

بدأ مصطلح الغرب في الظهور في الأدبيات الغربية ابتداء من النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، وهذا بعد فتح السلطان العثماني محمد الفاتح القسطنطينية سنة 1453م، أما مصطلح الشرق فبدأ تداوله على نطاق واسع في المدونات الغربية قبل حملة نابليون على مصر سنة 1798م[7]، وقد ظهر مصطلح الغرب بوضوح في خطاب ليون الإفريقي Léon l'Afrique " ليس لك الحق في التردد، هناك إمبراطورية مسلمة بصدد الولادة في الشرق، وفي الغرب يجب أن نمد لها يدنا"[8].

أما الاستغراب في معناه الاشتقاقي اللغوي العربي فقد جاء " استغرب في الضحك وأغرب إذا أكثر منه، وفي الحديث أنه "ضحك حتى استغرب" أي بالغ فيه، وقيل إن الاستغراب هو القهقهة"، وطبعا المعنى العلمي للاستغراب بعيد كل البعد عن المعنى اللغوي للكلمة في اللغة العربية[9] كما سنرى لاحقا.

2- المعنى الدلالي الغربي للاستغراب: من النادر العثور على مصطلح " Occidentalisme" الاستغراب كمقابل لمصطلح " Orientalisme" في أي معجم لغوي، وفي حال وجوده، فلا يشير إلى معنى " الاستغراب" المتوخى[10].

باستقرائنا للاستعمال التاريخي لمصطلح الاستغراب Occidentalisme، وجدنا أنه عرف في روسيا في القرن التاسع عشر، وهي حركة روسية إصلاحية ازدهرت في حكم نيكولا الأول، وتهدف إلى تبني القيم السياسية والثقافية للغرب [11]؛ كما عرف مصطلح الاستغراب في اليابان بعد الحرب العالمية الأولى حيث ظهرت حركة تحت هذا الاسم، وهي حركة آسيوية إيديولوجية تبريرية لمخططات التوسع الاستعمارية[12]. أما الاستغراب المعاصر حسب الرؤية الغربية فليس محدودا بنظرة الآخر، فهو يعني طريقة رؤية النظام العالمي في شموليته[13].

كما عرّف الاستغراب بأنه التوجه المتحيز للقيم الغربية مقارنة بالقيم الشرقية؛ وعرّف المستغرب L'Occidentaliste في المعاجم اللغوية بأنه المؤيد للنظرية القائلة بأن الحضارة مصدرها الغرب[14].

يبدو أن هناك اهتمام من قبل الدارسين الغربيين بموضوع الاستغراب بمعناه المتداول في الحقل المعرفي العربي المعاصر، وقد لاحظنا وجود العديد من الدراسات في جامعة مونتريال. وقد عرّف الاستغراب حسب بعض الدراسات بأنه انعكاس الروح الغربية في الدراسات الشرقية؛ وقد ظهر الاستغراب حسب هذه الدراسات مع نهاية القرن العشرين باعتباره الرؤية العريضة السلبية للآخرين " غيرنا " حول الغرب، فهو المعادل الشرقي للحركة الاستشراقية الغربية[15].

3- المعنى الدلالي العربي للاستغراب:

إن مفهوم الشيء يكون دائما مفتوح على الأقل في بداية تكوينه، ولكن بمرور الزمان، وتجديد المعارف يتسع المفهوم ويضيق، وغالبا ما يغاير ما كان مسلما به طبقا لاتساع وضيق وتحديد معارفنا [16]. فالتعريف الحقيقي للشيء طبقا لقواعد المنطق هو " التعبير عن ماهية

---

[5] Dictionnaire Universel Francois Et Latin, P1325.

[6] Amédée Baujean : Dictionnaire de la langue française abrégé du dictionnaire de É. Littré, P 768.

جمال مباركي: الغرب في الراية العربية الحديثة، بحث دكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، السنة الجامعية 2008-2009، ص 29.[7]

[8] Nassib Samir El-Husseini : L' Occident Imaginaire: La Vision de L'Autre Dans la Conscience Politique Arabe, (Quebec : Presses de l'université du Quebec, 1998) , P3.

[9] أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها ف الأدب العربي المعاصر، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص37.

[10] رضا داوري الأردكاني: في إمكانية معرفة الغرب، ملاحظات منهجية، مجلة الاستغراب، خريف 2015، عدد1، ص252- 253.

[11] Un Dictionnaire Français, Le trésor de la langue Française informatisé : http://www.le-tresor-de-la-langue.fr/definition/occidentalisme

[12] Guy Langue : L'occidentalisme et la critique du nous, Université de Montréal, http://mapageweb.umontreal.ca/lanoueg/LANOUE/lecons/occidentalisme.pdf

[13] Guy Langue : L'occidentalisme et la critique du nous, Université de Montréal, http://mapageweb.umontreal.ca/lanoueg/LANOUE/lecons/occidentalisme.pdf

[14] Un Dictionnaire Français, Le trésor de la langue Française informatisé : http://www.le-tresor-de-la-langue.fr/definition/occidentalisme

[15] Guy Langue : L'occidentalisme et la critique du nous, Université de Montréal, http://mapageweb.umontreal.ca/lanoueg/LANOUE/lecons/occidentalisme.pdf

[16] ساسي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي- الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ط (بنغازي، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2002)، ج1، ص17.

الشيء"[17]؛ ولأننا لا نمتلك العناصر الأساسية والجوهرية التي يتألف منها الاستغراب، يبدو لنا تعريف الاستغراب صعب المرام، لكننا سنحاول دراسته باستدعاء مجموعة من المفاهيم والمصطلحات إلى الذهن؛ كالاستشراق، الغرب، التغريب، وغيرها من المصطلحات، للوصول إلى هويته وأبعاده المختلفة.

يبدو من الأدبيات العربية التي اعتنت بتعريف علم الاستغراب؛ أن هناك توجهين:

الاتجاه الأول: إن الدلالة المعطاة للاستغراب في حقل نشأته الأولى كانت مرادفة للاغتراب[18]، يقول عبد العظيم الديب: "ومن هنا من داخل الموقع الفكري، والحصن الثقافي الذي مازال مهددا من داخله يجئ كلامنا موجها إلى المستغربين لا إلى المستشرقين، إلى جماعة من أبناء أمتنتا، ينطقون لغتنا، ويتكلمون بلساننا، ولهم ملامحنا وسماتنا، ولكن قلوبهم غير قلوبنا، فقد استلبوا حضاريا وثقافيا، وسقطوا في أسر الحضارة الغازية... وهؤلاء المستغربون هم الذين ورثهم الاستعمار- قبل أن يرحل عنا قيادة الفكر، والتثقيف، والإعلام، جيلا بعد جيل، ومكن لهم من وسائل القيادة وسلطانها، هؤلاء المستغربون هم مأساتنا، هؤلاء الذين دينهم الاستخفاف بتراث أمتنا" [19]، ويذكر عبد العظيم الديب أن مصطلح " المستغربين" ليس من إطلاقه، بل هو حسب تعبيره نقدا للذين يمجدون الحضارة الغربية "وسام أهداه إليهم المستشرق الفرنسي المعاصر جاك بيرك[20] في محاضرة له بالدوحة في العشرينيات"[21]، وقد استعمله بذات المعنى المستشرق هملتون جب: "والتعليم أكبر العوامل الصحيحة التي تدعو إلى الاستغراب، ولسنا نستطيع الوقوف على مدى الاستغراب في العالم الإسلامي إلا بمقدار دراسته للفكر الغربي وللمبادئ والنظم الغربية"[22].

الاتجاه الثاني: استعمل مصطلح الاستغراب كمقابل لمصطلح الاستشراق، وقد تساءل أحمد سمايلوفيتش هل لدى الشرقيين علم شبيه بالاستشراق؟ يدرسون فيه كل ما في الغرب من حضارة وآداب وفلسفة وأديان ونظم وفنون، لهم فيها منهجهم وفلسفتهم وطريقهم وهدفهم؟ وبعد طرحه هذه الأسئلة الجوهرية، يعرّف سمايلوفيتش الاستغراب بقوله: "إن كلمة "الاستغراب" مأخوذة من كلمة "غرب"، وكلمة غرب تعني أصلا غروب الشمس، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب، ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة "المستغرب[23]" وهو الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها"[24]، ويظهر أن هذا التعريف المأمول لسمايلوفيتش تختلجه حسرة، إذ يقول وددت لو استغربنا كما استشرقوا ووددت لو تتبعنا آثارهم ومخترعاتهم الفائقة الوصف ونقلناها إلى العربية، ولم نكتف بدرسها في لغاتهم، فلو فعلنا ذلك لأغنينا اللغة العربية وأمددنا النشء الجديد بكل أنواع الثقافات الحديثة مع التبحر في العلوم والفنون[25].

أما حسن حنفي فقد أسس تعريفا يحمل العديد من الأبعاد يقول فيه: " الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من "الاستشراق" فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا الشرق من خلال الآخر الغرب ، يهدف "علم الاستغراب" إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر" وهذا بتحويل الغربي من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس، مهمته القضاء على الإحساس بالنقص أمام الغرب، لغة وثقافة وعلما[26].

---

[17] المرجع نفسه، ص 20.

[18] التغريبيت westernization نوع من الاغتراب Alienation بالمعنى الاشتقاقي للفظ أي تحول الأنا للآخر. (حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، (القاهرة: الدار الفنية، 1991)، ص25.)

[19] عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ط1، كتاب الأمة، (قطر: دار الكتب القطرية، ربيع الثاني 1411هـ)، ص36-37.

[20] لا نعلم إن كان حقا جاك بيرك هو من نحت مصطلح الاستغراب؛ لكن إن كان حقا هو من أطلق هذا المصطلح، ألسنا في حاجة إلى إعادة النظر في المصطلح، ألسنا في حاجة إلى نحت مصطلح بأنفسنا؟

[21] عبد العظيم محمود الديب: المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي، ص 36.

[22] هاملتون جب: وجهة الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، (القاهرة: المطبعة الإسلامية، 1934)، ص 18.

[23] يرى مالك بين نبي أن المقصود بالمستشرقين: " الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية" (مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، (بيروت: دار الإرشاد، 1969)، ص5.) وبمقابلة هذا التعريف بالاستغراب، يكون المستغربين هم " الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الغربي وعن الحضارة الغربية"

[24] سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها ف الأدب العربي المعاصر، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص37.

[25] المرجع نفسه، ص35.

[26] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 29.

يرى حسن حنفي أن الاستغراب Occidentalism نشأ علم في مواجهة التغريب westernization [27]الذي امتد أثره ليس فقط في الحياة الثقافية وتصوراتها للعالم وهدد استقلالنا الحضاري، بل امتد حتى إلى أساليب الحياة اليومية ونقاء اللغة ومظاهر الحياة العامة وفن العمارة[28]، فمفردة الاستغراب تحولت من ملفوظ له ما له في عالم اللغة، إلى مصطلح له حقله الدلالي " لكي يتخذ المصطلح مكانته كواحد من مفاتيح المعرفة في الفكر الإسلامي، وجب أن تتوفر له بيئات راعية، ونخب مدركة، ومؤسسات ذات آفاق إحيائية، وكل ذلك في إطار مشروع حضاري متكامل" [29].

نلاحظ من التعريفين السابقين؛ أن أحمد سمايلوفيتش لم يتخلص من سلطة التأثير الغربي في تعريفه للاستغراب، فقد وضع تعريفا مستخلصا من تعريف الاستشراق، بينما وضع حسن حنفي تعريفا منحوتا بأبعاد تحررية، تنبع من الأنا المحلقة بأجنحة الخصوصية الفكرية.

بعد أن عرضنا التعاريف المختلفة لعلم الاستغراب، نتساءل هل يمكننا حقا تعريف هذا العلم الذي لم ينشأ بعد؟ وهل هو مشروع حلم عربي ترنو الأقلام المفكرة لبناء أسسه بوضع تصاميم تعريفية، تفاؤلا بتحققها واقعا؟ لقد مهدنا في البداية وقلنا أن التعريف بالشيء هو التعبير عن ماهيته، لكننا في الحقيقة قمنا بتعريف مأمول لعلم لم تتحدد ماهيته بعد؛ لهذا نأمل أن نعرّف علم الاستغراب بعد أن يتأسس فعليا على أرض الواقع لندرك ماهيته وكنهه.

ثانيا: الماهية التاريخية للاستغراب.

إن السؤال نشأة وبدايات أي علم ضرورية التاريخي لرسم معالم الموضوع ولإدراك ماهيته، في أبعاده المختلفة، فكيف تأسس علم الاستغراب تاريخيا؟

تجمع الأدبيات العربية على أن الاستغراب كحركة فكرية تهدف لمعرف الغرب بدأ في مراحل مبكرة من التاريخ الإسلامي، بداية بحركة الترجمة للفكر والفلسفة اليونانية مع ظهور الإسلام وانتعاش الحركة الفكرية التي أسهمت في تأسيس الحضارة الإسلامية، وصولا إلى الإنتاج المعرفي وفق قواعد المثاقفة العلمية.

أما في العصر الحديث فقد بدأت فكرة دراسة الغرب تنمو وتتطور في خطابات رواد النهضة والحركات الإصلاحية في المشرق والمغرب العربيين، وقد لقيت فكرة دراسة الغرب والاستفادة منه في فترة القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين القبول والاستحسان لدى الكثير من التيارات وزاد الإقبال عليها وإعطائها زمنا فلسفيا وفكريا أكثر مع بداية تنشيط محور الرحلات العربية الحديثة إلى بلاد الغرب حيث أبدى كتابها وبصراحة وقوعهم في صدمة معرفية إزاء ما يحدث في الغرب من تطور[30]؛ ويرى حسن حنفي أن بداية الصدمة الحضارية مع الغرب أفقدت الأنا التوازن، وجعلته يلهث وراء ما يجهله كي يتعلم ويسيطر عليه، وينجذب نحو الآخر، وفي غمرة هذا الانجذاب نسى الأنا، وتحول إلى آخر واقع في الاغتراب[31]، وقد كان لظهور تيار الحركة الإصلاحية في المشرق والمغرب العربي دافعا أكبر لظهور فكرة دراسة الغرب على ما هو عليه في تلك المرحلة، وقد برز الفكر لاستغرابي في أدب الرحلات[32] التي قام بها المشارقة[33] والمغاربة[34]

---

[27] كما رأينا أن مصطلح الاستغراب فهم على أنه التغريب، نلاحظ أن المصطلح لم يزل غريبا في الأوساط العلمية والفكرية، في سؤال بيرك إن كان يرى ضرورة في قيام نوع من الاستغراب في مقابل الاستشراق؟ ردّ بيرك بحيث لم تتحدد معالم المصطلح لديه: " بالطبع، وبموجب الآية القرآنية التي تحث الشعوب على التعارف المتبادل. هذا هو المعنى السليم، حتى الآن يمكن القول أن تشتت الإمكانيات ومستوى التنمية قد جعل الاستغراب العربي مختلفا عن استشراق الغربيين انظر إلى ما تعنيه الكلمات العربية كالاغتراب والتفرنج التي تشير بصورة أكثر أو أقل إلى المنفى ونزع الشخصية. لا يوجد أيضا في الشرق مدارس باحثين تدرس منهجيا الغرب كي تدمج هذه المعرفة في أنساق ثقافية وطنية. فالتغريب بالنسبة للعربي هو زرع مناهج وعادات الغرب. ولا يوجد كثير من الأعمال ذات المعرفة الدقيقة مترجمة من العرب تقدم النظرة الشرقية للغرب منذ الطهطاوي والشدياق." (أحمد الشيح: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ط1، (القاهرة: المركز العربي للدراسات الغربية، 1999)، ص33-34.)

[28] المرجع نفسه، ص 22.

[29] محمود حيدر: لماذا الاستغراب، مجلة الاستغراب – دورية فكرية تعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيا ونقديا- ، (بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2015، عدد 1)، ص9-10

[30] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ط 1، (مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات، الدوحة، قطر، دار عقل ، دمشق، سوريا، 2016)، ص 137–

[31] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 61.

[32] وأثبت العرب والسلمون في كتب الرحلات دراساتهم العميقة للشعوب الأخرى، وأبرز تلك الدراسات لعقيدة وعادات شعوب الهند هي ما قدمه البيروني. (أحمد الشيح: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ص9)

[33] وأهم تلك الرحلات والمؤلفات: رحلة رفاعة الطهطاوي سنة 1834:تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز؛ رحلة أحمد فارس الشدياق إلى باريس سنة 1855: الساق على الساق في ما هو الفرياق؛ رحلة أحمد فارس الشدياق سنة 1863: كشف المبحث عن فنون أروبا (الواسطة في أقوال مالطة)؛ رحلة سليم بطرس سنة 1856:النزهة الشهية في الرحلة السليميّة؛ فرنسس مراش 1867: رحلة إلى أوروبا؛ لويس صابونجي1874: الرحلة النحلية؛ نخلة صالح 1876: الكنز المخبأ ساحة في أوروبا؛ محمد شريف سالم 1888: رحلة إلى أوروبا؛ دمتري خلاط 1891: سفر السفر إلى معرض الحضر؛ حسن توفيق 1891: رسائل البشرى في

خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وقد اتفقت في محور الدعوة إلى ضرورة دراسة الغرب وملاحظة ما وصل إليه من القوة والمتعة والمدنية والاستفادة منه قدر الإمكان [35].

لقد ظهر تيار نهضوي يدعو إلى دراسة الغرب بالتوفيق بين قيم الحضارة الإسلامية وقيم ومنجزات المدنية الغربية؛ من بينهم خير الدين التونسي(1822_1889)[36]؛ والسفير العثماني محمد أفندي في فرنسا (1721)، حيث ألف كتابا في الاستغراب هو "جنة المشركين" سجل فيه جغرافية المجتمع الفرنسي وعاداته وتقاليده، كما درس أنظمته الإدارية والسياسية والفكرية[37]، ورفاعة الطهطاوي (1805–1873) فهو كذلك كان من الزمرة التي وجهت موضوع دراسة الغرب توجيها سلبيا حيث تأثر بفكره الكثير من العلمانين والليبراليين والتغربين في العالم العربي بعده بقليل أحمد أمين، لطفي السيد، طه حسين...[38]؛ لقد كانت بداية اليقظة من الاستعمار والأخذ بأساليب القوة التي بها تمكن الاستعمار منا، لذلك آمنوا بمحاربة الغرب بسلاحه، فبدأت البعثات العلمية للغرب، وبعودتها للوطن خلقت نمطا جديدا في الفكر والثقافة بجوار النمط القديم[39]، لقد أصبحوا باحثين غربيين على غرار المستشرقين يستعملون لغاتهم وينتهجون مناهجهم؛ وما قدموه من أبحاث لا تعدو أن تكون رؤية الغرب لذاته بصورة شاحبة ممسوخة[40].

بالإضافة إلى تيار المدرسة العقلية الذي تأسس على يد حمال الدين الأفغاني (1838–1897) ومحمد عبدو (1849–1905)[41]، رشيد رضا(1865– 1935)، محمد مصطفى المراغي(1881– 1945)، الكواكبي(1855–1902). وقد انتبهوا إلى خطورة لغرب الاستعماري وكانت مواقفهم في ذلك على اتزان كبير تنبئ عن وعي عميق يحرسه فقه سنني بضرورة السير في الأرض والاستفادة إيجابيا من كل تجربة إنسانية والحضارة الغربية واحد منها.[42] وشكلت كتابات الدعاة بعد محمد عبدو والشيخ رشيد رضا من الداخل التيارات الإسلامية المتنوعة أمثال الشيخ محمد الغزالي، سيد قطب، القرضاوي، البوطي، مصطفى السباع والمودودي، الشيخ أبو الحسن الندوي والغنوشي، والترابي وغيرهم، ثم مشروع مالك بن نبي لدراسة وتحليل الظاهرة الغربية، والتي أعقبها جهود المدرسة الإسلامية.

هناك تسارع ملحوظ في موضوع الدراسات الاستغرابية في السنوات الأخيرة ساهمت في عدة عوامل في دفع عجلة هذا المجال المعرفي[43]، وقد تناولنا جل الأدبيات التي أسهمت في وضع الخطوط العريضة لعلم الاستغراب في مقدمة بحثنا.

ثالثا: الماهية الابيستيمولوجية للاستغراب.

1-حدود الاستغراب المعرفية والجغرافية:

لتحديد معالم الهوية الابستيمولوجية للاستغراب، لابد من تحديد هوية موضوع الدراسة، والذي هو الغرب؛ فما هو الغرب معرفيا؟ وما حدود جغرافيته؟

لقد ظهر مفهوم الغرب، تمخضا عن حقبة العصور الوسطى، حيث تشكلت هوية أوروبا بانتهاء تلك الحقبة التي طورت جملة من العناصر الاجتماعية والدينية والسياسية، فظهر المفهوم بأبعاده الدلالية الأولية، التي تمثلت في تثبيت مجموعة من الصفات والخصائص العرقية والحضارية والدينية على أنها ركائز أساسية تشكل هويته. مما أدى إلى ولادة مفهوم المركزية الغربية، الذي يؤسس وجهة نظر حول الغرب بناء على إعادة إنتاج مكونات تاريخية توافق رؤيته، مستحوذا في الوقت نفسه على الإشعاعات الحضارية القديمة، وقاطعا أواصر

السياحة بألمانيا وسويسرا؛ أمين فكري 1892: إرشاد الألباب إلى محاسن أوروبا. أحمد زكي 1893: السفر إلى المؤتمر؛ أحمد زكي 1900: الدنيا في باريس؛ علي أبو الفتوح 1900: سياحة مصري في أوروبا. (عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 137– 140.)

[34] ابن أبي ضياف 1846: إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وملوك أمل الأمان؛ خير الدين التونسي 1867: أقوم المسالك؛ سليمان الحرائري1867: عرض البضائع العام؛ محمد السنوسي 1883: الرحلة الحجازية؛ محمد السنوسي 1891: الاستطلاعات البارسية؛ بيرم الخامس1884: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار؛ على الورداني 1888: الرحلة الأندلسية؛ محمد بلخوجة 1900: سلوك الإبريز في مسالك باريز. (عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 137– 140.)

[35] ـ المرجع نفسه، ص141.

[36] كان أحد رواد النهضة في العصر الحديث، حاول الترويج لفكرة دراسة الغرب من خبرته السياسية ووعيه المقاصدي الذي ورثه من شيوخه في الزيتونة خاصة الشيخ سالم بوحاجب (1828– 1924) الذي اعانه على تأليف كتابه أقوم المسالك ولذا حاول أن يوظف هذه الفكرة واللغة في إقناع ومخاطبة نظرائه بواجب دراسة الغرب وضرورة الاقتباس منه.(المرجع نفسه، ص من 142).

[37] أحمد الشيح: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ص9

[38] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 142 - 143.

[39] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 62-63.

[40] أحمد الشيح: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ، ص10.

[41] ولقد سعى جمال الدين الافغاني ومحمد عبدو من خلال مجلة العروة الوثقى والمنار التي أسسها رشيد رضا إلى شد افكار العلم الإسلامي المشتتة إلى أهمية معرفة الغرب، وكانت مقالات المنار والعروة الوثقى تحمل اجوبة واضحة لأسئلة علم الاستغراب التقليدية والتي تمهد لدراسة الغرب، لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق؟ لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ وهذا ما فتح المجال للبحث في شؤون الغرب ودراسته. ولقد انتشر هذا الوعي من بعدهم لدى الكثير من الحركات الإصلاحية والعلم الإسلامي مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لهذا فكرة الاستغراب انتقلت من شكلها التقليدي إلى تيار الحركة الإسلامية وصحوتها المعاصرة. (عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 143 - 146.)

[3]– المرجع نفسه، ص 146-147.

[43] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ، ص 154.

الصلة بينها وبين المحاضن التي احتضنت نشأتها. فيما تقصد المفهوم أن يمارس إقصاء لكل ما هو ليس غربي، دفعا به إلى خارج الفلك التاريخي الذي أصبح الغرب مركزه.[44]

فالغرب المراد دراسة علومه وفلسفته وحضارته، هو غرب مثقل بعقد متجذرة في عمق تاريخه، لقد قد تم استدعاء التاريخ والجغرافيا والدين والثقافة وغيرها من العناصر من أجل تركيب هويته؛ غير أن المفهوم الأنطولوجي الواقع في قلب تعريفه الذاتي والذي استقت منه كل هذه العوامل معناها ومحتواها هو مفهوم عالمية حضارته. لقد طرح الغرب نفسه كنموذج معياري وتعبير نهائي عن التطور البشري. فجغرافيا الغرب الأولية التي تمثلت في أوروبا أعطت لنفسها في علاقتها مع الشعوب الأخرى رسالة حمل لواء الحضارة مع الشعور بفوقية الحضارة الغربية، فانبنت رؤيته التاريخية للغيرية مذ ذاك على اعتبار التنوع اختلافا جذريا، فقدم فلاسفته وعلماؤه أساسا علميا وفلسفيا لشرعنة رسالة الحضارة، حيث تم إبراز هرمية الثقافات والأعراف والأجناس[45].

فالغرب من خلال ما تقدم هو الغرب الذي يعتبر نفسه متفوقا، كما اعتبر نفسه النموذج المعياري للتطور البشري، لكن عن أي غرب نتكلم؟ فماهي جغرافية هذا الغرب؟

إن مفهوم الشرق والغرب يختلف لدى الشرقيين والغربيين، ففي الوقت الذي يعتبر الأوروبي روسيا شرقا، يعتبرها الشرقي غربا؛ فهذا التقسيم خاضع لجغرافية ذهنية ولحدود وهمية، ولاعتبارات سياسية وتاريخية مختلفة. لا وجود لغرب جغرافي، فالأدبيات العربية تكاد تجمع على كونه مجرد فكرة.

يقول على القرشي: "الغرب اليوم لا يمكن اختزاله في مدلول جغرافي ضيق بل إنه أمسى يعبّر عن منظومة متكاملة ومتنوعة ومتداخلة، إذ ثمة غرب مصالح، وغرب أديان، وغرب ثقافات، وغرب أنظمة وقوانين، وغرب مبادئ وقيم، وغرب منهج حياة، وغرب تاريخ، وغرب واقع ... وكل واحد من هذه الجوانب في الغرب يستحق دراسة وتحقيقا وتنظيرا وتأصيلا. " [46]

إن دراسة الغرب لا يمكن أن تكون في حيزه الجغرافي ولا في تحيزاته المعرفية ولا في إنجازاته المادية، وإنما الغرب كل الغرب بمحتوياته الكامنة في عالم الأشياء وعالم الأفكار وعالم الأشخاص الخاص به؛ أي حقيقة كينونته وواقعه[47]، لهذا يجب أن تتداعى الأمة لتأسيس جهاز فكري لتقوية مناعتها وأمنها الاستراتيجي من خلال منظومة رصد مؤسساتية علمية تنطلق من "علم الاستغراب" تتابع كل حركة وسكنة لهذا الكيان في عالمه، وتمنحنا القدرة الكافية للاستفادة من منجزاته[48].

2- الهوية الذاتية للاستغراب:

نقصد بالهوية الذاتية للاستغراب، السؤال عن وجود هوية ذاتية مستقلة للاستغراب، أم أنه موجود في رحم الاستشراق، لا ينفك يستمد الاستغراب روحه وبواعثه ومضامينه منه؟ والحقيقة أن جل الأدبيات المعاصرة تنظر إلى الاستشراق والاستغراب كطرفين متقابلين، بحيث الاستشراق، يرى الجابري أن "الاستغراب أفصح عن شخصه وتبلور ضمن حاضنته الأولى، أي الاستشراق؛ حتى وإن ظهرت حركة تنابذ وتعارض بينهما. ذلك لأن التأسيس الابستيمولوجي والتاريخي للعلاقة بين الطرفين ظلت محددة من موقع علاقة هيمنة منهجية ونظرية للاستشراق على الاستغراب. وفي كلتا الحالتين الاستشراق والاستغراب، تتحقق وظيفة إيديولوجية من نمط محدد بإنتاج وإعادة إنتاج علاقة من تبعية المشرق والمغرب العربيين للغرب الرأسمالي الامبريالي."[49]

الحقيقة أن الاستشراق ظاهرة غربية استجابت للثقافة التي أنتجتها أكثر من مما استجابت لموضوعها المزعوم، الذي كان هو أيضا من إنتاج الغرب، وهو متعلق بمستوى الهيمنة الغربية، داخليا وخارجيا، وحسب إدوارد سعيد فإن المكون الرئيس للثقافة الأوربية هو بالضبط ما جعل تلك الثقافة متسلطة داخل أوروبا وخارجها[50]، وعلى ذلك فوجود الاستغراب كمقابل دوما للاستشراق، وميل البعض للاستمدادات الاستشراقية الجاهزة سواء في تعريف علم الاستغراب، وفي منهجه، يعد في نظرنا نوعا من التبعية للغرب؛ لهذا يرى أحمد كلاتا أنه إذا تقرر أن ينمّى علم الاستغراب ويعزّز بصفته أحد فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، فيجب التسليم بواقع مفاده أن الاستغراب يختلف

---

[44] السيد يسين: المركزية الغربية وتجلياتها المعاصرة، جريدة الأهرام، أوراق ثقافية، 16 أغسطس 2001، السنة 126، العدد 41891. عن الرابط التالي: http://www.ahram.org.eg/Archive/2001/8/16/WRIT3.HTM

[45] دودو ديان: أزمة الهوية في العالم الغربي، الجهل بالآخر جهل بالذات، مجلة الاستغراب، خريف 2015، عدد1، ص83.

[46] علي القرشي: الآخر في المنظور الإسلامي، (دون بيانات نشر)، ص10.

[47] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص12.

[48] المرجع نفسه، ص6.

[49] طيب تيزيني: من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، بحث في القراءة الجابرية للفكر الغربي وفي آفاقها التاريخية، ط1، (دمشق: دار الذاكرة، 1996)، ص250.

[50] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، ط1، (بيروت: دار الفارس، 2004)، ص604.

موضوعا وأسلوبا عن الاستشراق، ومع ذلك يشكل الخطاب الاستشراقي جزءا من موضوع الاستغراب[51]، ويرى محمود حيدر أن موضوع علم الاستغراب يجب أن يتمحور حول التعرف على المجتمعات الغربية كما هي في الواقع، وذلك من خلال مواكبة تطوراتها العلمية والفكرية والثقافية والسياسية، وذلك عبر ما تقدمه نخب هذه المجتمعات من معارف في سياق إعرابها عن القضايا والمشكلات التي تعيشها في مطلع القرن الحادي العشرين؛ بالإضافة إلى التعرف على المناهج والسياسات التي اعتمدها الغرب حيال الشرق والمجتمعات الإسلامية على وجه الخصوص، وذلك بقصد جلاء الكثير من الحقائق وتبديد الأوهام التي استحلت التفكير العربي والإسلامي ردحا طويلا من الزمن[52].

3- الاتجاه النقدي للمعرفة الاستغرابية:

تتجه بعض الأدبيات العربية، لنقد المنحى الاستغرابي، والتشكيك في القدرة على القيام بعلم في ثقل الاستشراق أثرا وفكر؛ يرى رضا داودي الأردكاني أن المستشرقين تمكنوا من اتخاذ الشرق موضوعا لأبحاثهم ومعرفتهم، بينما لم تتعد معرفتنا بالغرب شكلا من أشكال المساهمة في تلك المعرفة؛ فالإحاطة بالعلم والتكنولوجيا الغربية يشكل نوعا من المشاركة في التاريخ الغربي، ولا ينبغي الخلط بين هذا النوع من المعرفة والاستغراب لقد أخذ الشرقيون منذ قرون عديدة بعلوم وآداب وفلسفة وتكنولوجية الغرب، ومع ذلك لم يعتبروا مستغربين؛ ولم يتعامل أحد مع منهجيتهم وسلوكهم في هذا السبيل كنوع من الاستغراب، فهل يمكن اعتبار الاستغراب مفهوما مستحيلا يحول دون تأسيس فرع بحثي تحت هذا العنوان؟[53].

يرى جوزيف مسعد أن مفهوم الاستغراب ليس سوى دعامة حاضنة للخطاب والمؤسسات الاستشراقية[54]، ويؤكد الباحث جوزيف مسعد أن إدوارد سعيد أعلن مبكراً في كتابه الاستشراق: أن الحديث عن التخصص العلمي كميدان بحث جغرافي كما في حالة الاستشراق يكشف لنا الكثير، إذ لا يمكن لأحد أن يتصور وجود ميدان بحث مطابق له يدعى الاستغراب.

هناك من يرفض تقسيم العلوم حسب منطق الأنا والآخر، باعتبارها تسهم في تكوين هوة أنطولوجية بين الأنا والآخر، يقول على حرب: " أسعى إلى التحرر من تلك التصنيفات الشائعة الصادرة عن عقليات استشراقية أو كلامية لاهوتية، كقسمة فروع العلم والمعرفة، إلى إغريقي أو عربي أو إسلامي أو أوربي غربي... أو كثنائية الاستشراق والاستغراب المضاد له. إن مثل هذه التقسيمات التي تقيم هوة أنطولوجية بين الأنا والآخر، تريد لي أن أعامل أو أن أتعامل مع نفسي، فكريا بوصفي الآخر دوما" [55].

يمكننا القول أن هذه الآراء على اختلافها وتنوعها في الأدبيات العربية؛ تخدم علم الاستغراب سواء بمحاولة تحديد الأطر المعرفية للاستغراب، أو في نقدها لهذا العلم، فالنقد نوع من البناء، ومن يهدف للقيام قدما بعلم الاستغراب لا بد أن يحيط بالثغرات المختلفة، ليقوم العلم على أسس وركائز قوية.

المبحث الثاني: الآليات المنهجية لعلم الاستغراب

تأتي أسئلة المنهجية في مقدمات العلوم، فلكل علم منهجه وأدواته المناسبة لتحقيق مقاصده، وإذا كان الاستغراب هو علم دراسة الغرب، فالسؤال المطروح هنا أنّ الغرب ليس موضوعا واحدا، فأي غرب نقصد ونريد؟ هل هو الغرب الثقافي والاجتماعي، أو الاقتصادي والعسكري، أو الغرب السياسي؟ فكل حقل من هذه الحقول والمواضيع يستوجب منهجا خاصا لدراسته وفهمه واستيعابه، وإلا وقعنا في الخطأ ذاته الذي وقع فيه الغرب حين درس الشرق من خلال الاستشراق، فكانت رحلته العلمية إلى الشرق تفتقد إلى خرائط المنهجية[56]، يقول جاك بيرك في الحوار الذي أجراه معه أحمد الشيخ: " ليس الاستشراق منهجا بذاته بل نتيجة وهدف لمجموعة مناهج كثيرة لعلم الاجتماع والتاريخ والانتروبولوجيا الحضارية والألسنية ... " [57]

يعبّر طيب تيزيني عن إشكالية المنهج بقوله: " تبدو مسألة المنهج بمثابة واحدة من كبيرات المسائل الأكثر غموضا وقلقا وتوترا في الفكر العربي المعاصر. وقد تولدت عنها عدّة نزعات تنهيجية، تمارس في هذا الأخير أدوارا ومواقع ووظائف متعددة، ولعلنا نذكر منها النزعات

---

[51] أحمد كلاتا ساداتي: نحن .. وسحر ميداس العالم الإسلامي وعلم الاستغراب، مجلة الاستغراب، خريف 2015، عدد1، ص226-227.

[52] محمود حيدر: لماذا "الاستغراب"، مجلة الاستغراب، دورية فكرية تعنى بدراسة الغرب وفهمه معرفيا ونقديا تصدر عن المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية (مكتب بيروت) العدد الاول- السنة الاولى- 2015م ، ص 13- 14.

[53] رضا داوري الأردكاني: في إمكانية معرفة الغرب، ملاحظات منهجية، ص257.

[54] جززيف مسعد: الاستشراق هو الاستغراب، موقع حكمة، مقال مترجم عن: Joseph Massad, “Orientalism as Occidentalism,” History of the Present, Winter 2015، عن الرابط التالي: http://hekmah.org/

[55] علي حرب: إرادة العقيدة أم إرادة المعرفة، بحث مقدم ضمن كتاب قضايا فكرية، عدد 16، ص24.

[56] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الاسلامي، ص 312.

[57] أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ص32.

التجريبية والتأملية والتلفيقية والإبيستيمولوجية. وإذا كنا صنفنا هذه الأخيرة بمصطلحات تجعل منها ما هي عليه ... وجدير بالقول أن هذا الموقف، بأوجهه واحتمالاته المفتوحة والمتعددة، يفصح عن نفسه من حيث هو ممشكلة منهجية مركبة، وقابلة لمزيد من التركّب، فمن المرجح أن أسباب ذلك كون الفكر العربي المعاصر يمثل بنية مطواعة ربما إلى حد الاستباحة المباشرة من قبل عملية تدفق متسارعة باتجاهه بمعظم التيارات الفكرية النظرية والمنهجية، والمتحدرة من الغرب الأمريكي والأوروبي، وكذلك من بعض مناطق الشرق الأقصى وشرق آسيا"[58]، ويطالب الجابري باتخاذ موقف من الحذر المنهجي حيال أي منهج يُعتقد أنه جاهز للاستعمال؛ ويتقبل ما المزاوجة بين المناهج الجاهزة، ويرى أن " كل المناهج مفيدة ومهمة" [59].

لقد قدّمت الأدبيات العربية المهتمة بموضوع الاستغراب بعض الأطر المنهجية لهذا العلم؛ وهناك رؤى متفرقة حاولنا جمعها لوضع تصور عام حول آليات ومناهج علم الاستغراب، وما يمكن أن نؤكده أن التصور المنهجي في الأدبيات العربة يعتريه الكثير من القصور، رغم وجود بعض المحاولات الجادة، كمحاولة حسن حنفي وعادل بن بوزيد عيس، ويمكن لنا تلخيص هذه الرؤى في التالي:

1-المنطلقات التنظيرية لدراسة الاستغراب:

يقدّم عادل بن بوزيد عيساوي روية منهجية لعلم الاستغراب ترتكز على النظام المعرفي الإسلامي، ويمكن لنا تلخصيها في التالي:

- الارتكاز على النظام المعرفي الإسلامي في دراسة الغرب:

يرى عادل بن بوزيد عيساوي أن الرؤى والأفكار والأحكام ترتبط ارتباطا موضوعيا بنظامها المعرفي الذي تنتمي إليه، وأي دراسة مهما كانت قيمتها تستند إلى رؤية كونية تستمد مرجعيتها وتكتسب قيمتها ومكانتها من نظامها المعرفي الذي استلهمت منه الأدلة والنصوص والمراجع والمقولات وحتى القطعيات والمنهجيات، هذه المسائل بمجموعها تشكل نظاما معرفيا تستخرج منه الرؤى والتصورات؛ ومن هذا المنطلق يجب أن ندرس علم الاستغراب من منظور النظام المعرفي الإسلامي، فهو الأرضية البنيوية التي يجب أن تكون وحدة تحليلية لدراسة الظاهرة الغربية بكل أمشاجها وحيثياتها وتشكلاتها المادية والمعرفية؛ ويرى عادل بن بوزيد عيساوي أن النظام المعرفي الإسلامي جاهز ليجيب عن تلك الأسئلة والاستشكالات المدرجة ضمن السياق المعرفي أو المنهجي والتي يصطحبها علم الاستغراب[60]، لكن السؤال الذي يطرح، هل يمكننا احتواء علم الاستغراب والإحاطة بأنساقه المختلفة، انطلاقا من نظام معرفي لم نستطع التحكم في قواعده وآلياته التي تمكننا من دراسة الحالة الحضارية الغربية بكل مخرجاتها؟ وهل نملك تصورا شموليا عن علم الاستغراب وهل نملك المنهجيات التي توصلنا إلى القدرة على الخروج بنتائج تجعل دراستنا للغرب دراسة مثقلة بالوعي الحضاري؟

يجيب عادل بن بوزيد عيساوي عن هذه الإشكالات الواقعية، بأن الناظر في فلسفة النظام المعرفي الإسلامي وبنيته المقاصدية حتما سيلاحظ أن هناك سلسلة تربط بين المفاهيم، وليس هناك ثغرات داخل هذا النظام؛ لهذا فبإمكان النظام المعرفي الإسلامي أن يقدم دراسات تأصيلية تؤمّن له الطريق المعرفة عن الغرب، ليغدو هذا العلم إضافة نوعية تساهم في معرفة هذا الجزء من العالم معرفة علمية دقيقة، تمكننا ليس فقط من القدرة على مواجهة الإخطار القادمة منه، واكتشاف طرائق الحضارة الغربية التي أوصلتها إلى أمجادها فنتتبع أسبابها وسبلها وننخل مسالكها[61].

- مداخل الصدق المنهجي ومخرجاته في علم الاستغراب[62].

إذا كان البيان القرآني يقتضي منا تحقيق العدل كقيمة كونية كما في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[63] فإنّ توظيف المنهج المناسب لدراسة الغرب في جوانبه المتعددة هو جزء لا يتجزأ من معاني العدل. التي تتجلى من هذه الآية، وهو عدل وقسط لا يتحقق إلا بآلياته المنهجية المناسبة، وهذا ما يجب على المشتغلين بقضايا "الاستغراب وفلسفته" أن يفهموه حتى لا نعيد الوقوع في أخطاء مدارس الاستشراق التي وظفت المناهج توظيفا لا يتناسب مع طبيعة المواضيع المتناولة[64].

- الجملة المفيدة لعلم الاستغراب في النظام المعرفي الاسلامي.

---

[58] طيب تيزيني: من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، بحث في القراءة الجابرية للفكر الغربي وفي آفاقها التاريخية، ص 55.
[59] المرجع نفسه، ص 56- 57.
[60] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص19.
[61] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي ، ص20.
[62] المرجع نفسه، ص 312.
[63] سورة النساء: 135.
[64] عادل بن بوزيد عيساوي: المرجع السابق، ص312.

حتى نحقق جزء من مداخل الصدق ومخارجه في فقه الاستغراب لا مناص من المرور أولا على مسألة لا تقل أهمية عن سابقتها، تلك إذا هي قضية الجملة المفيدة لعلم الاستغراب. ففهم البنية المنهجية العميقة للاستغراب كعلم قائم بذاته مستقل في مصطلحاته ومعجمه وفهارسه ومنهجيته، متوقف إلى حد كبير على إدراك وتحرير "جملته المفيدة" كأول خطوة من خطوات التأصيل المنهجي لهذا الحقل المعرفي القديم الجديد؛ فالجملة المفيدة للعلوم هي المحدد المنهجي الذي يفهم من خلاله أي علم من العلوم مهما كان الموضوع الذي يتناوله والقضايا التي يتبناها، والإشكالات التي يطرحها، وهي بقدر ما تمثل مدخلا منهجيا نتعرف من خلاله على الصياغة اللغوية والمنطقية لأي علم من علوم، تمثل كذلك إطارا معرفيا، نضبط فيه المفاهيم، ونحدد المصطلحات والمناهج فلكل علم مصطلحاته واستقلاليته[65]، ومما تقدم يتبين أن الموضوع أو الجزء الأوّل من الجملة هو الغرب، والجزء الثاني من جملته المفيدة هو بيان حقيقته من جميع أحواله المادية والمعرفية؛ والغرب هنا ليس من حيث كونه حيزا جغرافيا، بل من حيث حقيقته وطبيعته وكينونته، وحين تقرأ الجملة المفيدة في سياق النظام المعرفي الإسلامي ستستقي منه أجوبتها التي بتحقيق مقصد العدل في رؤية (الأنا والآخر)[66].

ثالثا- أثر الجملة المفيدة للاستغراب في تحديد سلمه المعرفي[67].

إن تحديد لجملة المفيدة التي هي موضوع أي علم من العلوم يسهل تحديد وتوصيف العلوم في إطار ما يسمى " بفلسفة العلوم" كما يمكن تحديد موقعها ضمن علوم التراث، ونستفيد من هذه المنهجية في تحديد الجملة المفيدة لهذا العلم أشياء كثيرة منها:

-أن تحرير الجملة المفيدة لعلم الاستغراب سيقودنا إلى فهم طبيعة وتحرير مشكلاته.

-أن تحرير الجملة المفيدة لعلم الاستغراب والجواب عن الأسئلة المعرفية والمنهجية سيمكننا من ترتيب درجة علم الاستغراب في السلم المعرفي الاسلامي أو فلسفة العلوم، هل هو من العلوم والمعارف الضرورية أو الثانوية[68].

-ستزودنا هذه الآلية المنهجية (الجملة المفيدة لعلم الاستغراب) من تصور وإدراك العائد المعرفي والمخرجات المعرفية لهذا العلم.

-أن التركيز على مفهوم الجملة المفيدة لعلم الاستغراب منهجيا سيثمر النظر الدقيق في توسيع قاعدة بيانات هذا العلم وتصنيفها.

-أنّ الجواب عن أسئلة هذا العلم فرع عن تصور مناهجه المتنوعة، فعلم الاستغراب يحتوي على عشرات الجمل المعرفية المفيدة مقسمة إلى مجالات كثيرة منها الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعمران والثقافة والفكر والعلوم، ومعلوم أنّ لكل مجال طبيعته ومنهجه الخاص به في التحليل والتركيب والدراسة يختلف عن الآخر، وهذا ما يثمر ثروة منهجية واسعة ومتنوعة داخل حقل واحد ضمن إطار فلسفة الاستغراب تجمع في نهاية المطاف بين كل المجالات ضمن إطار رؤية توحيدية كلية؛ فعلينا عندما نقرأ في التراث أنّ نبحث في النسب التامة، أي أن نبحث في الجمل المفيدة، وإلا فإننا لن نحصل للمبتدأ على خبر، ولا للفعل على فاعل، فإنه لا يمكن أن يتشكل لدينا فهم صحيح لنصوص التراث[69].

2-الآليات والضوابط المنهجية لعلم الاستغراب:

من خلال تتبعنا للأدبيات العربية التي رصدت الآليات المنهجية لعلم الاستغراب، وجدنا أن مشروع حسن حنفي ما زال إلى يومنا هذا يجتر ويعاد في الكثير من البحوث، لهذا فضلنا العودة إليه مباشرة والاستئناس بالإضافات التي قدمتها بعض الأدبيات.

- قراءة الآخر انطلاقا من الأنا:

تتفق الأدبيات العربية على أن الغرب قرأ الشرق انطلاقا من أناه المتفوق؛ يرى الجابري أن الاختلاف عميق وواسع بين نظرية صراع الطبقات وفكرة صدام الحضارات سواء على مستوى التحليل أو على مستوى الدوافع والأهداف، فالنموذج الابيستيمولوجي في كلتا النظريتين يبقى هو نفسه، إنه النموذج المهيمن على الفكر الغربي، نموذج "الأنا" التي لا تتعرف على نفسها إلا عبر" الآخر"، تختار أو

---

[65] المرجع نفسه، ص 314.

[66] اختلف مفهوم الجملة المفيدة بين علوم البلاغة والنحو والأصول والمنطق وغيرها، وتنقسم الجملة المفيدة إلى قسمين ظاهرين، وقسم ثالث غير ظاهر، فأهل المنطق يتحدثون ما أسموه ب: " الموضوع" و " المحمول" والبلاغيون يقولون: " المسند والمسند اليه" والنحويون يسمونها ب: " المبتدأ والخبر" أو "الفعل والفاعل". ولذلك فالجملة المفيدة نفسها قد سميت بأسماء مختلفة، مثل: القضية أو المسألة، أو "الدعوى"، وكل تلك الألفاظ السابقة متفقة المعنى. (عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ، ص 315-316.)

[67] المرجع نفسه، ص315-316.

[68] المرجع نفسه، ص316

[69] المرجع نفسه، ص 318.

تشكله وتصنعه بالصورة التي تجعله قابلا لأن يقوم بالوظيفة التي تريدها منه: وظيفة تأكيد "الأنا" لنفسها، ويمكن للباحث أن يكشف رسوخ هذا النموذج الابستيمولوجي في العقل الأوربي منذ فجر التاريخ[70].

فالبحث في شأن الآخر وجودا وثقافة، يتحول بالنسبة للمركزية الغربية، إلى نوع من البحث عن صدى تلك المركزية في الآخر، فدراسة الآخر لا شأن لها بخصائصه الذاتية، إنما بإعادة إنتاج المركزية الغربية، مقابل تهميش الآخر؛ فهو يعيد إنتاج نفسه عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تعتبر المحصلة التركيبة العليا والأخيرة لتلك الميتافيزيقا الإنسانوية ذاتها التي تقود المشروع الثقافي الغرب[71]، يقول صادق جلال العظم في هذا الصدد "لاحظ إدوارد أن المنهج المستند إلى ميتافيزيقا الاستشراق وابستيمولوجيتها التمييزية قد انتقل إلى الشرق نفسه، لذلك وجه تحذيرا إلى المفكرين والمثقفين الشرقيين من مغبة استعارة هذا المنهج واستخدامه في دراسة المجتمعات التي ينتمون إليها أن تطبيقه على الثقافات الأخرى والمغايرة عند محاولتهم التعرف إليها وفهمها، ويأتي تحذير إدوارد في محله لأن استعارة هذا المنهج في الشرق قد تمت بالفعل كما أن ممارسته مستمرة منذ فترة طويلة مما أدى إلى بروز نظرة واسعة ومؤثرة يمكن تسميتها بالاستشراق المعكوس، لأنها تحمل في طياتها الميتافيزيقا الاستشراقية وابستمولوجيتها بصورة مقلوبة" [72].

قام صادق جلال العظم بتعرية الدوافع العنصرية التي رسمها المستشرقون عن الشرق، والمبنية على التمايز الجوهري بين طبائع المجتمعات الشرقية والغربية، والتي أطلق عليها اسم "ميتافيزيقا الاستشراق"؛ وبيّن وجود استشراق معكوس متمثل في تيارين، أحدهما يعيد إنتاج التراث الاستشراقي بطريقة معاكسة يرى أن العقل العربي متفوق على العقل الغربي، أما الثاني فهو التيار السلفي المتجدد يدعو للعودة إلى الأصالة الإسلامية لكنه يكرس التمايز العنصري هو أيضا.[73]

يؤكد حسن حنفي على ضرورة تحجيم الغرب بقراءته بمناهجنا الخاصة: " يكفينا في جدل الأنا والآخر، وتأسيس علم الاستغراب في مقابل "التغريب" أي نقل الغرب، التخلص من آثاره، يكفينا تحجيمه ورده داخل حدوده الطبيعية حتى يحدث التوازن في وعينا القومي بين حضارتنا وحضارات الغير في الغرب أولا ثم الشرق ثانيا"، ويؤكد حسن حنفي على ضرورة إيجاد سبل التخلص من التبعية الفكرية للغرب، ومحاولة إيجاد الأنا بالعودة لقراءة التراث وإعادة بنائه لتكوين ذات قادرة على قراءة الآخر من منطلق الأنا[74]؛ فعلم الاستغراب قادر على أن يقوم بالتحرر من أساسه الأنطولوجي وليس المعرفي، وذلك بتحرير الأنا تحريرا حضاريا، حتى تبدأ الأنا في وضع ذاتها كأنا، "أنا لا أغترب، إذن أنا موجود" أو " أنا لست آخر، إذن أنا موجود"، فالكوجيتو في عصرنا ناف سالب، فيه يسبق السلب الإيجاب، والنفي الإثبات، مثل شهادة "لا اله إلا الله" [75]؛ فقراءة الغرب من منطلق الأنا الشرقي من شأنه يشعر الغرب بحجمه الحقيقي؛ فيجب تحاشي الشعور بالتبعية للغرب والدونية تجاهه، وهذا بالحفاظ على الاستقلالية والحرية، وتنمية حس التمايز بين الشرق والغرب كحد أدنى، مع رفض التعامل مع الغرب كنموذج للكمال المتوخى، باعتباره المعلم والموجه، والاكتفاء بالنظر إليه كآخر مختلف[76]، كما يجب تحاشي مقاربة معرفة الغرب وأدبه كغاية المعرفة والأدب الإنسانيين، بالإضافة إلى تحاشي النظر إليهما باعتبارهما انحراف عن مبادئ الأخلاق، فهذا من شأنه عرقلة إمكانية تبلور الاستغراب[77].

- آلية الاسترداد التاريخي:

لا يمكن فهم الغرب دون الإلمام بجذور الظاهرة الغربية وتاريخها، عبر كل الفصول التي مرت بها وصولا إلى مراحل اصطدامها بالعالم الإسلامي، فلا بد من تحليل معرفي شامل لكل القنوات التي تعارف من خلالها العالم الغربي بالعالم الإسلامي، سواء القنوات العسكرية التي استخدمت لحسم العلاقة ممثلة في لغة الصراع التي تبناها الغرب مبكرا؛ وهي لغة ولدت في رحم فلسفة النظام المعرفي الغربي، أو من خلال شكل العلاقة بين الطرفين في بعدها المعرفي والتثقيفي بين الشرق والغرب[78]. فلابد استيعاب التاريخ الغربي بشكل عام، وهذا من

---

[70] طيب تيزيني: من الاستشراق الغربي إلى الاستغراب المغربي، بحث في القراءة الجابرية للفكر الغربي وفي آفاقها التاريخية، ص 246.

[71] عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، ط1، (بيروت: دار الفارس، 2004)، ص602.

[72] صادق جلال العظم: ذهنية التحريم، ط2، (دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، 2004)، ص 38.

[73] Nassib Samir El-Husseini : L' Occident Imaginaire: La Vision de L'Autre Dans la Conscience Politique Arabe, (Québec : Presse d'université du Québec, 1998), P172-173

[74] حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 49.

[75] المرجع نفسه، ص 59.

[76] وليد نويهض: الاستغراب السلبي كتمثل للاستشراق في اختلاف الرؤية بين الغالب والمغلوب على أمره، مجلة الاستغراب، خريف 2015، عدد1، ص142.

[77] المرجع نفسه، ص142.

[78] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي ، ص28.

خلال سبر فلسفته، وتقنيته والإحاطة بكليهما؛ فلا يكفي مجرد دراسة الفلسفة في الجامعات وتأليف الكتب حول تاريخها وترجمتها وطبعها ونشرها، بل ينبغي التأمل فيها من خلال وعي النسبة بينها وبين العالم الحديث[79].

لابد أن يسعى الاستغراب إلى تصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الأوروبية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادا وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العالم، هو مفهوم " العالمية"؛ ومن نتائج هذه المركزية الأوبية تحقيب التاريخ في ثلاثة عصور وجعل أوربا موطنها: العصور القديمة (اليونان والرومان)، والعصور الوسطى (المسيحي واليهودي والإسلامي)، والعصور الحديثة[80].

- آلية استقراء التراث وإعادة بنائه:

يرى حسن حنفي، أن هناك لحظتين تاريخيتين في علاقة الأنا بالآخر، اللحظة القديمة في علاقتنا باليونان، واللحظة الحالية في علاقتنا بالغرب، استطاع القدماء قراءة الآخر من منظور الأنا، أما نحن فنقرأ الأنا من منظور الآخر، ولم نستطع بعد أن نرد على الاستشراق، وهو قراءة الغرب للآغرب من منظور الغرب، باستشراق مضاد أو استغراب، وهو قراءة الغرب من منظور اللآغرب، يجب علينا البحث في أعماق الوعي التاريخي لمعرفة منطق الجدل الحضاري لمعرفة لماذا نجح القدماء في احتواء الآخر وتمثله، والرّد عليه، وإكمال النقص فيه، وحذف الزيادة منه، ولماذا لم ننجح نحن في اللحظة الحالية، فاحتوانا الآخر وذوبنا فيه؟[81]

- آلية النقد في علم الاستغراب:

إن الخطاب ذو الرؤية النقدية، حين يوضع على بساط البحث في العالم الإسلامي، يتحول إلى خطاب يتجاوز البنى الفوقية للموضوع، محاولا دخول مستوياته التأسيسية والأيديولوجية؛ فيعرف الغرب بوجهه الإيديولوجي المضاد للمفاهيم الإسلامية، وتوضع السيطرة الغربية والعدوانية الغربية موضع النقد الجدي، وهو لا يزال في مرحلة تشكله الأولية، ويمكن القول أن هذه الرؤية موجودة بشكل مبعثر، وعلى نحو لا يتيح تعريف لها ضمن خطاب ما أو مقولة ما، وقد تشكلت في القرن المنصرم عبر أشكال المقاومة في البلد الإسلامية في مواجهة الغرب، ابتداء من مواقف جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وسيد قطب[82]، ويمكن أن يجري هذا المنهج على ثلاثة أوجه:

1-نقد قيم الفكر الغربي وآثارها المترتبة فكريا على الانتلجنسيا العربية والإسلامية، وبيان آليات الاستغراب السلبي الناجمة عنها.

2- نقد الغرب لذاته من خلال اختيار وتعريب ما يكتبه الفلاسفة والمفكرون والباحثون الغربيون حول القضايا التي تعكس أحوال مجتمعاتهم، والتحولات التي تحتدم فيها تلك المجتمعات في الميادين المختلفة.

3- نقد النخب العربية الاسلامية للغرب، انطلاقا من معرفتها به واستيعابها لتاريخه وسعيها الى مناظرته على أرض التكافؤ والتعادل والكلمة السواء[83].

- إعادة إحياء الاستشراق من خلال الدراسة النقدية له:

إن إعادة قراءة الاستشراق لابد أن تستأنف للنظر فيما ألحقه الاستشراق من أذى في البنية الثقافية للشرقيين عامة؛ فهذا من شأنه توضيح كثير من أسباب سوء فهم الغرب للشرق[84]، فلابد "من إعادة الاستشراق إلى الأرض وإخضاعه للنقد كجزء من حركة المعرفة وكنتاج لحركة التاريخ، فالاستشراق في النهاية حركة تاريخية معرفية له خصوصيته وفي الآن له دوره ووظيفته وحاجته. وعندما نضع الاستشراق في إطار الحاجة والوظيفة والدور نستطيع آنذاك تفكيكه تاريخيا وتجاوزه إلى مرحلة أعلى ولا نبقى أسرى الانقسام الشكلي بين حزب مؤيد للاستشراق وحزب معارض له" [85]، ويرى عادل بن بوزيد عيساوي ضرورة الكشف عن البدايات الأولى لفكرة دراسة الآخر بين الطرفين انطلاقا من زاوية ومنظور التحقيب المعرفي للفكر الاستشراقي الغربي والفكر الاستغرابي الإسلامي[86].

---

79 رضا داوري الأردكاني: في إمكانية معرفة الغرب، ملاحظات منهجية، ص258-259.
80 حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 40.
81 المرجع نفسه، ص 49- 50.
82 أحمد كلاتا ساداتي: نحن .. وسحر ميداس العالم الإسلامي وعلم الاستغراب، ص 229-230.
83 محمود حيدر: لماذا "الاستغراب" ، ص 13- 14.
84 عبد الله إبراهيم: المطابقة والاختلاف بحث في نقد المركزيات الثقافية، ط1، (بيروت: دار الفارس، 2004)، ص604.
85 وليد نويهض: الاستغراب السلبي كتمثل للاستشراق في اختلاف الرؤية بين الغالب والمغلوب على أمره، ص142.
86 عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي ، ص28.

فحين نتابع دراسة الآخر بين الطرفين من زاوية التحقيب المعرفي؛ فإننا نتعرف أكثر عن السلبيات والإيجابيات التي تمخضت من الفكر الاستشراقي في دراسة العالم الشرقي؛ أو تلك التي نتجت عن فكرة الاستغراب في صورها الأولى[87]، أما أحمد كلاتا ساداتي فيرى أن الاستغراب يختلف موضوعا وأسلوبا عن الاستشراق، ومع ذلك يشكل الخطاب الاستشراقي جزءا من موضوع الاستغراب، " وحين يتمّ تعريف وتقويم الماهيّة العدوانية للغرب، من الطبيعي أن تتوضح من خلال هذا التعريف ماهية الغرب أيضا، لهذا السبب يجب الإيمان بالحوار والتفاعل بين الاستغراب والاستشراق. ففي كل الاتجاهين يمكن طرح علاقات القوة السلطوية بموضوعات مثل "الأنا" و" الآخر"[88].

- تفكيك مصادر الوعي الأوروبي وإعادتها لأصولها: وهذا من خلال الخطوات التالية:

1-القضاء على المركزية الأوربية: فمهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الأوروبيةEurocentrism وهذا ببيان كيف أخذ الوعي الأوروبي الصدارة عبر التاريخ الحديث داخل بيئته الحضارية الخاصة، فمهمة هذا العلم ردّ ثقافة الغرب إلى حدوده الطبيعية، بعد أن انتشر خارج حدوده الطبيعية إبان عنفوانه الاستعماري من خلال سيطرته على وسائل الإعلام وهيمنته على وكالات الأنباء ودور النشر ومراكز الأبحاث العلمية والاستخبارات العامة.

2-القضاء على أسطورة الثقافة العالمية: فمهمة الاستغراب القضاء على أسطورة الثقافة العالمية التي يجب على كل الشعوب تبنيها للانتقال من التقليد إلى الحداثة، مع أن الثقافات متعددة ومتنوعة ولا توجد ثقافة أم وثقافات فرعية، ومن هنا أتت عمليات المثاقفة Acculturation التي تحدث عنها علماء الأنثروبولوجيا الثقافية والتي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي أو التبادل الثقافي أو التثقيف وهي في الحقيقة تعني الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها، وهيمنتها على غيرها، واعتبار الغرب النمط الأوحد لكل تقدم حضاري، وعلى كل الشعوب تقليده، وأدى ذلك إلى إلغاء خصوصيا الشعوب وتجاربها المستقلة. [89]

3-القضاء على ثنائية المركز والأطراف: فمهمة علم الاستغراب القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة، فمهما حاول رجال الدين والاقتصاد القضاء على هذه الثنائية في ميدان السياسة والاقتصاد دون القضاء عليها في الثقافة فإن تبعية الأطراف للمركز في السياسة والاقتصاد قائمة؛ وطالما أن الثقافة الغربية هي المركز والثقافات الأخرى هي الأطراف ستظل العلاقة أحادية الطرف، من المركز للأطراف، علاقة المعلم بالتلميذ، فالغرب هو المعلم الأبدي والتلميذ مهما اجتهد ستزداد المسافة اتساعا حتى تدركه الصدمة الحضارية فيقع، ويدرك قدره ويرى مصيره، ويقبل وضعه في التاريخ[90].

5-إعادة التوازن للثقافة الإنسانية: فمهمة الاستغراب هو إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الغربي والكفة المرجوحة للوعي اللاغربي؛ فطالما أن الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعي الأوروبي هو الذي يمد الثقافة الانسانية بنتاجه الفكري والعلمي، وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج. وبالتالي يستمر هذا الظلم التاريخي الواقع على الثقافات غير المتميزة في سبيل الثقافة المتميزة[91].

المبحث الثالث: الأبعاد الاستشرافية لعلم الاستغراب

إن الغرب تجربة حضارية تعد درسا مهما لفهم مصائر الشعوب والحضارات، فهي تجربة مفيدة لإعادة دراسة حركة البناء الحضاري، إضافة لحركة التاريخ، ولبناء الفكر الإسلامي على أسسه الأصيلة، وتحقيق الوعي السنني، الذي ينسجم مع البعد الكوني لحركة التاريخ، ذلك البعد الذي يسبغ على حركة انتقال الحضارة قانونًا أزليًا[92]، وعلم الاستغراب هو وسيلة للتواصل الحضاري، فالتواصل فعل حضاري راق يعبر عن تطلع الإنسان الفطري للتفاعل مع الآخر، المختلف الذي يشاركه في الإنسانية، ويتقاسم العيش معه فوق كوكب واحد، فمصطلح التواصل يحمل في طياته معاني التلاقي والاحتكاك والتمازج والتفاعل والتبادل والتلاقح والاتصال المثمر بين طرفين أو أكثر،

---

87 المرجع نفسه، ص29.

88 أحمد كلاتا ساداتي: نحن .. وسحر ميداس العالم الإسلامي وعلم الاستغراب، مجلة الاستغراب، خريف 2015، عدد1، ص226-227.

89 حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 50.

90 المرجع نفسه، ص 51.

91 المرجع نفسه، ص 52.

92 بدران بن لحسن: قراءات فى علم الاستغراب- قراءة في كتاب مقدمات الاستتباع، موقع بحوث، تاريخ النشر: الاحد 30 رجب 1426 الموافق 04 سبتمبر 2005 ؛ عن الرابط التالي:
http://www.islamtoday.net/bohooth/artshow-40-6111.htm

بحيث يتم من خلاله تداول وتبادل الثقافات وتخصيبها، وتعميم فوائد الإبداع البشري والعبقرية الإنسانية على سائر البشر، وإعطاء دفع قوي لحركة المجتمعات المتواصلة نحو مزيد من التقدم والرقي[93]؛ والتعايش السلمي مع الأديان غير الإسلامية مبدأ إسلامي أصيل دلّت عليه النصوص، وطبقه المسلمون طوال تاريخهم، فهو إذن ليس أمرا يفرضه المسلمون على دينهم أو يلجؤون إليه لأسباب خارجية قاهرة[94].

1-البعد الاستشرافي التدافعي: والتدافع هي السمة الغالبة على الإنتاج الحضاري المتوازن، والذي يأتي عادّة من منطق رؤية متوازنة للأنا والآخر بعكس الصراع الذي غالبا ما يقوم بتضخيم الأنا وتقزيم الآخر، في هذا السياق لا بدّ أن يتأسس علم الاستغراب، وتحت ظلال هذه المفاهيم يجب تطعيم مادته وأهدافه، وحتى ينفك عن شوائب لغة المنابذة التي تأسست عليها الثقافة الاستشراقية، وذلك بإعادة الأوضاع إلى طبيعتها فكرا وممارسة. وفي هذا السياق أصاب الدكتور حسن حنفي القول حين أدرج دراسة الغرب في سياق: " فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس..."[95].

إذا كان الملاحظ على الدكتور حسن حنفي في صياغته لمقدمته علم الاستغراب الإحساس بكون هذا العلم ناشئ تحت ضغط اللحظة التاريخية الراهنة كرّد فعل يستهدف الآخر استهدافا واضحا من خلال " القضاء على المركزية الأوربية"... وأسطورة الثقافة العالمية التي يتوحّد بها الغرب ويجعلها مرادفة لثقافته... مهمته القضاء على ثنائية المركز والأطراف على مستوى الثقافة والحضارة..."، ولا يخفى على أحد أنّ طرح الاستغراب من موقع البديل للاستشراق بهذه الصورة قد يضر بمصداقية هذا العلم لدى الكثير من الأطراف في الغرب والعالم الإسلامي أقلها تلك التي تنتظر من المسلمين أن يقدموا دراسات علمية استرشادية عن الغرب، وبالتالي فإنّ تحقق ذلك في أجواء طرح البدائل بلغة الصراع ممتنع عادة ولا يؤتي ثمرته وستكون ردة الفعل تجاهه في الغرب بمثل ردة الفعل التي واجهنا بها الاستشراق[96].

بناء على ما سبق، فإنّ من أهداف هذه الشعبة الحضارية التي تحقق مقاصد التدافع فيها: " إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوربي...وتصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الأوربية من أجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية وحيادا وأكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العالم، وهذا بإنهاء أسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء، وأوروبا مركز الثقل فيه، وتاريخ الإنسانية هو تاريخ الغرب، وتاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلسفة الغربية، وفي الغرب يصب كل شيء... فلا بدَّ من رد الغرب إلى حدوده الطبيعية وإنهاء أسطورة الغزو الثقافي، إفساح المجال للإبداع الذاتي للشعوب غير الأوروبية، وقد ينتج عن علم الاستغراب أخيرا أن تشهد الإنسانية عصرا جديدا يختفي منه داء العنصرية الدفين الذي نشأ أبان تكون الوعي الأوروبي حتى أصبح جزءا من بنيته"[97]، بهذه الرؤية التفاؤلية يستشرف حسن حنفي استغرابا ذو بعد بنائي، يعيد للعالم توازنه.

2- البعد الاستشرافي التعارفي والتعاوني: حيث من خلال تجسير وتجويد العلاقة مع العالم الغربي سنكتشف الكثير من المشتركات الإنسانية التي تعزز أصول التواصل بين العالمين، فدراسة الغرب تمكننا من اكتشاف مستوى الأنا الحضارية والدينية والعلمية عندنا، " فمن سنن الله أن الكشف عن طبائع الأشياء والمخلوقات يكون من خلال تحريك صور ومستويات التدافع بين التمثلات حيث تظهر الحقائق كما هي[98]،

---

[93]- محمد زرمان: "فعل التواصل مقاربة في الأبعاد والشروط"، ورقة بحث مقدمة ضمن أعمال مؤتمر فيلادالفيا الرابع عشر حول ثقافة التواصل، المنعقد أيام،5/4/3 نوفمبر 2009، ص 1.

[94]- جعفر شيخ إدريس: صراع الحضارات بين عولمة غربية وبعث إسلامي، مجلة البيان، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1433ه، ص 82.

[95]- حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 24.

[96]- عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 262.

[97]- حسن حنفي: مقدمة في علم الاستغراب، ص 31- 43.

[98] يرى وائل أحمد خليل أن هناك خطوة منهجية أساسية بصدد تحقيق التفسير الكلي للمفاهيم في نسق نحن نؤمن به، هذه الخطوة تتمثل في قراءة العقل الآخر لفهم منطلقات الأنا ego في أبعادها الحقيقية، فتكوين رؤية كونية شاملة من خلال نسق فكري معين، لا بد أن يكون ضمن العناصر الأساسية في فهم هذا النسق، من خلال عنصر التفاعل المتداخل بين موقفي الذاتي ونمط الوعي وما اتبع اليه من نسق، وبين الآخر ونمط الوعي لديه وما يتبع إليه من نسق. فهناك الكثير من عناصر الوعي الذاتي التي لا تكشف عن نفسها إلا باطلاعها على عناصر مقابلة في الوعي الآخر. فإذا أردنا الفهم الكلي للنسق الإسلامي، لا بد أن يتوفر لدينا عنصرا أساسيا من عناصر الفهم وهو وضع هذا النسق أمام الأنساق الأخرى المغايرة. وضرورة قراءة هذه الأنساق الأخرى لنعيد من خلالها قراءة نسقنا الذي نعتقده، فنحن ندين إلى الوعي الغربي وأنساقه كل الثغرات والتساؤلات الفكرية التي فتحها، لنحقق من

ومن مسالك الكشف عن صورة ومستوى العالم الإسلامي التعرف على نظيره وما يماثله أي الآخر، وهذا ما تحيلنا عليه أبسط قواعد الفهم في النظام المعرفي الإسلامي حيث يجب الكشف والاطلاع على رؤية الآخرين حتى نستبين عن قوة رؤيتنا وموقعها بين جموع الرؤى"[99]، إن دراسة الغرب ليس هدفا عشوائيا يسهل اقتناصه، ولا أمنية متاحة لكل الباحثين، بل هي نتيجة تحريك وتحرك الأمة مع تداعي الجسد تداعيا علميا منهجيا لتأسيس هذه الشعبة الحضارية الهادفة[100]، حيث ينبغي لنا بإزاء الغرب أن نريه صورته الحقيقية من منظورنا العلمي المتوازن، ولا شك أن الغرب يرنو ويتحسس مثل هذه الدراسات عن كثب، بل إنّ هناك أصوات كثيرة دعت ولما تزال تدعوا العرب والمسلمين إلى دراسة الغرب دراسة علمية، ولعلمهم ويقينهم أنّ المنطلقات الإسلامية لا تسمح بالشطط والتجاوز[101].

فإذا كان الغرب قد أنشأ مفهوم الشرق بعيدا عن معطيات الواقع والتاريخ، كما ذكر ذلك إدوارد سعيد، " فإنّ الشرق في إنشائه لمفهوم الغرب كان أقل ابتعادا عن إحداثيات الواقع، وأقل ابتعادا عن وقائع التاريخ، وأكثر موضوعية من شطحات بعض الرحالة الأوربيين". أو بتعبير الدكتور حسن حنفي:" أنّ الاستغراب يقوم على "أنا" محايد لا يبغي السيطرة، وإن بغى التحرر، ولا يريد تشويه ثقافة الآخر، وإن أراد معرفة تكوينها وبنيتها، وإن " أنا" الاستغراب أكثر نزاهة وموضوعية وحيادا من " أنا" الاستشراق"، ولهذا فإنّ تفعيل فقه الاستغراب في هذا الاتجاه، سيمكننا من ربط العلاقات مع الغرب بكل تكتلاته، ويمكننا من البحث في المشترك الإنساني الذي بيننا، فالإنسان الغربي مع كفره فسوقه فيه من صفات الخير والمساحات والقناعات الايجابية التي نستطيع أن نستثمر فيها، هذا فضلا عن وجود قطاع عريض من النخبة يتميّز بالحياد والانصاف والموضوعية.

وقد تقدم الفيلسوف الإسلامي الكبير طه عبد الرحمن بتصوُّرٍ أكّد فيه أنّه لا يمكن أن تتحقق هذه العلاقة بيننا وبين الغرب إلا وفق الشروط التالية:

- لا تعارف إلا باعتراف ولا اعتراف إلا في المعروف: اعتراف بالكينونة الغربية كما هي بكل ما فيها من ثقافات وطبائع وأديان وفلسفات ومعتقدات ومذاهب فكرية واقتصادية، والاعتراف ليس معناه القبول بها وتبنيها، وإنما الانطلاق من رؤية الأمر الواقع حتى نتعامل مع الواقع كما هو، ولهذا يقول الدكتور علي القريشي:" حين يتوزع الناس بين الشعوب وقبائل يظل المقصد هو التعارف، " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"، ولا تبرز أهمية التعارف دون استصحاب مدركات وحدة الخلق وحقيقة الاختلاف ونسبية الحقيقة، فالتعارف في ظل هذه المسلمات ينتج بالضرورة اعترافا فيما يضل التعرف في ظل سيكولوجية تختزن التفاضل والاستعلاء قاصرا عن بلوغ حالة التعارف ناهيك عن الاعتراف.
- ومن هنا يغدوا التعارف والاعتراف حقيقة ومقصدًا كونيًّا قبل أن يكون مقصدا شرعيا، ونحن نعلم أنّ المقاصد الكونية سابقة على المقاصد الشرعية بما معناه أنّ الثانية تراعي الأولى ولا تصادمها، لأنها تتأسس وتبنى عليها، ولهذا لا يمكن للشريعة أن تأتي بخلاف مقررات وقواعد المقاصد الكونية التعارفية، فتحت بناء على هذه القاعدة قنوات التعارف والتعاون في ساحات المعروف وما أكثرها، وهذا ما يجعلنا نبني على هذه الحقيقة منطلقات ومقاصد فقه الاستغراب حتى لا ينشأ ويتأسس على عوج[102].

3- البعد التعايشي والحواري للاستغراب: يقول المستشرق أرنلديز: "حضارة الغرب صارت حضارة العالم كله، أو في طريقها لتصير حضارة العالم بأسره، وإذا جاز استخدام حديث الاستشراق والاستغراب في القرن الماضي فإن العالم اليوم قد تغير كثيرا ونحن في فترة حتى الأشياء المتصارعة، تسير مع بعضها البعض. نحن في حالة حركة .. لا ينبغي أن نقول الآخر هو العدو. عبر الاختلاف هناك أشياء مشتركة توحد بين الناس أكثر فأكثر" [103]؛ لازلنا نلاحظ في الخطابات الاستشراقية المعاصرة، رغم دعوتها للعيش المشترك في ظل الاختلاف، الكلام من منطلق الفوقية، أما علم الاستغراب فليس من منطلقاته مفردة تؤسس لمفهوم الكوجيتو المركزية والتعالي، فإنَّ مدلول الشرق والغرب لم يصنعه الشرق الذي يؤمن بالتنوع والتعدد والتعارف على قاعدة القرآن التوحيدية الحضارية[104] ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل

خلالها إضافة جديدة في فهم واستيعاب واكتشاف حقيقة ما نعتقد. (وائل أحمد خليل: مسألة الحرية في الوعي الغربي، إسلامية المعرفة، العدد 31، ص63).

[99] عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص21.

[100] المرجع نفسه، ص27.

[101]- المائدة: الآية 8.

[102]- عادل بن بوزيد عيساوي : سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي ، ص 273- 274.

[103] أحمد الشيح: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب- حوار الاستشراق، ص 59-60.

[104]عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي،ص29.

لتعارفوا}[105]، ففي " البعد التوحيدي التكاملي الكوني، يتبنى الآخر، تكامليا مع كل أنا، ويتبدَّى الأنا تكامليا مع كل آخر، وكل ذلك في الرؤية القرآنية الكونية عبارة عن دوائر متداخلة في نسيج حضاري توحيدي إعماري بديع، يقوم على الغائية والتكامل والتناسق والتفاعل الإعماري البناء، فالأنا والآخر ينتمون ويتفرعون شعوبا وقبائل في منظومات بشرية تحقق في وحدتها التنوع، يتم التفاعل والتعارف الكامل بين البشر، لأنه لو تماثلت الأجزاء لما كان هناك مجال للتكامل والتفاعل بين متماثلين، لأن التكامل شرط التفاعل" [106]، فالتفاعل الحضاري " ظاهرة طبيعية في إطار الحضارات، حتى أننا لا نستطيع أن نجد حضارة خلت من عناصر خارجية أثرت فيها أو ساعدت على نشوئها، غير أن ذلك لا يقلل من قيمة تلك الحضارة ولا يلغي قيمتها"[107]، لكن هذا لا يعني الذوبان في الحضارات الأخرى، بل يجب أن يتم بالحفاظ على الخصوصيات الثقافية داخل المجتمع العربي المسلم دون عزلة، وهذا لا يتنافى مع التعايش بين الثقافات وتبادل المنافع بينها وإظهار مكوناتها الإنسانية التي قامت على تكريم بني آدم[108].

4- البعد الاستشرافي العلمي: من هذا المنطلق يغدو تأسيس علم الاستغراب ضرورةً معرفيَّةً، لازمة لحركة العلم في العالم الإسلامي، وإضافة نوعية لفلسفة العلوم، إذ يجب أن نتحول من مجرد حالات الفهم والتفهم للطرف الآخر ومن حالة الدعوة إلى أهمية موضوع الغرب، وترجمة هذا الانشغال الذي يحظى بإجماع كل قطاعات ونخب الأمة إلى علم محكم البنيان والأصول والقواعد والمراجع. كما إنّ هذا اللون من المعرفة إذا ما كتب له النجاح، فإنّه سيكون بمثابة الحسنة التي يهديها العالم الإسلامي إلى الحضارة الغربية، لترى أخيرا وجهها في مرآة أخرى غير تلك التي ألفت أن تراه من خلالها منذ قرون[109].

لقد دعا إلى هذا المفكر الجزائري " مالك بن نبي" وذلك بجعل العلاقة بيننا وبينه (الغرب) قائمة على العلم، أي بمعرفة أنّ الظاهرة الغربية في عمومها والظواهر الغربية الجزئية مسألة نسبية قابلة للدراسة، عند ذلك يمكن فهم الغرب والتعامل بإيجابية، ومن هذه الجهة يدعو إلى ما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب، لفهم الغرب ومعرفة تاريخ تطوره، وكيفية سير أنظمته الفكرية والحضارية، وهي دعوة نادى بها مالك بن نبي في ظرف كان التعامل مع الاستشراق تعاملا تجزيئيا وتناولا في إطار الجزئيات دون وجود رؤية كلية تجعل الاستشراق في سياقه العلمي والتاريخي والحضاري، كأحد الأدوات المعرفية الغربية التي تربط بالحضارة الغربية في تعاملها مع الآخر الشرقي، أي الإسلامي بالأخص[110].

خاتمة

بعد هذه المحاولة الاستقرائية ومحاولات الإجابة عن سؤال الماهية والموضوع والمنهج والآفاق؛ نردد مع عادل بن بوزيد عيساوي: " وبعد مضي قرون من الزمن على وجود فكرته- فكرة الاستغراب- وأصوله ومنابعه في تراثنا يراوح مكانه مكبل بعجزه عن صياغة وإبداع نظريات تمكنه من رؤية الآخر بوضوح" [111]، ونخلص إلى بعض النتائج نذكر منها:

- ضرورة الابتعاد عن القوالب التعريفية الجاهزة، في اختيار المصطلح الأنسب لعلم الغرب أو الاستغراب، والسعي لنحت تعريف ومصطلح خاص، نحدد من خلاله أهدافنا من عملية المثاقفة، ونحدد من خلاله أيضا المواضيع التي تتواءم مع معطياتنا المعرفية.

---

[105] سورة الحجرات: آية 13.

[106] عبد الحميد أبو سليمان: الرؤية الكونية الحضارية القرآنية المنطلق الأساس لإصلاح الإنساني،(المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008)، ص58-59.

[107] إبراهيم العاتي: إشكالية المنهج في دراسة الفلسفة الإسلامية، (بيروت: دار الهادي، 2003)، ص16.

[108] علي بن إبراهيم النملة: مجالات التأثير والتأثر بين الثقافات، المثاقفة بين شرق وغرب، ط1، (ردمك، 2010) ص30.

[109]- عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي، ص 276.

[110]- بدران بلحسن بدران: الظاهرة الغربية في الوعي الحضاري – مالك بن نبي أنموذج-، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، قطر، العدد 73، ط1، 1420ه، ص16- 17.

[111]عادل بن بوزيد عيساوي: سؤال الاستغراب في النظام المعرفي الإسلامي- نحو أنموذج إرشادي علمي متكامل لدراسة الغرب، ص7.

- يبدو من خلال الدراسة والعودة إلى الهوية الايتيمولوجية لمصطلح الاستغراب، أنه مثقل بما أثقل به مصطلح الاستشراق من نعوتات تجرد عنه طابع العلمية؛ وإن كان مصطلح الاستشراق قد ألقي به في مزبلة التاريخ كما يقول برنارد لويس، لماذا نختار مصطلحا يوحي بأننا لا نملك القدرة على نحته بعيدا عن التصورات والأطر الفكرية الغربية؛ فإن كان الاستشراق قد اصطبغ بالإمبريالية والفوقية، ألا يكون اختيارنا لمصطلح الاستغراب مجازفة تقوّض أهدافنا العلمية؟
- ضرورة الاهتمام البحثي بآليات ومناهج علم الاستغراب، فقد لاحظنا أن الأدبيات العربية لم تستطع تحديد المناهج المناسبة له، وهذا قطعا يعود لكون ماهية الاستغراب لازالت تشوبها الكثير من الضبابية.
- هناك اضطراب في الأدبيات العربية حول علم الاستغراب سواء في تحديد هويته أو موضوعه أو منهجه، وهذا يؤكد أن علم الاستغراب لازال في طور التأسيس، وهو يحتاج لمجهودات مؤسساتية تتبنى مشروعه وتنطلق في آفاق المعرفة بخطى واضحة.
- إن دراستنا للغرب يجب أن تتجاوز الأخطاء المنهجية التي مورست عنوة من قبل المستشرقين، انطلاقا من النظرة الامبريالية الشوفينية للشرق، فلا بد أن نتجرد من ثقل الصراع التاريخي وتدرس الغرب بكل موضوعية، إن التخلص من المنهج التراكمي النمطي الاستشراق في علم الاستغراب ضرورة أساسية في قراءتنا للغرب.
- لم توضح لنا الأدبيات العربية منهج الاستغراب كما كنا نتصور ونأمل، لكن هناك محاولات لتحديد ضوابط الانطلاق لمعرفة الآخر، والتي تتجلى في إعادة قراءة الأنا والانطلاق منها لقراءة الآخر، بعيدا عن مؤثراته وتجاذباته؛ لقد حددت لنا الأدبيات العربية الرؤيا المنهجية في المستوى الشمولي، ونحن في حاجة لتحديدات أكثر عمقا، فهل نقرأ الغرب بمناهج الغرب؟ أم نعيد إنتاج مناهج خاصة بنا لقراءة الآخر؟.
- ضرورة إيجاد مؤسسات علمية وأكاديمية تعنى بالقيام بمشاريع نهضوية توقظ العقل العربي وتدفعه للفاعلية والإنتاج. وإن كان الاستشراق قد نشأ لأهداف امبريالية فلا بد أن نحدد للاستغراب أهدافا توقظ بدواخلنا الرغبة بالنهوض من وضعنا الحضاري الراهن إلى أوضاع مشرفة.